

## سورة البقرة

مكية، وآياتها عشرون

[نزلت بعد ق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ١ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ٢ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ ٣ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ٤ ﴿أَلَيْسَ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ٥ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا﴾ ٦ ﴿أَلَيْسَ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧ ﴿

أقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغمورًا في مكابدة المشاق والشدائد؛ واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ٢ يعني: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم. عن شرحبيل: يحرمون أن يقتلوا بها صيدًا ويعضدوا بها شجرة، ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله ﷺ، وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته، أو سلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالقسم ببلده، على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد؛ واعترض بأن وعده فتح مكة تميمًا للتسوية والتنفيس عنه. فقال: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، يعني: وأنت حلٌّ به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر؛ وذلك أن الله فتح عليه مكة وأحلها له، وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء. قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة. ومقيس بن صبابه وغيرهما، وحرم دار أبي سفيان (١٧٥٢)، ثم قال: «إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، فلا يعضد شجرها، ولا يختل

١٧٥٢ - تقدم وقال الحافظ في تخريج الكشاف: تقدم. وقتل ابن خطل: متفق عليه، وقتل مقيس بن صبابه عند أبي داود والنسائي من رواية مصعب بن سعد عن أبيه وقتل غيرهما تقدم أيضًا. ومنهم الحويرث بن نفيل. رواه الواقدي في المغازي. والمراد بقوله: «حرم دار أبي سفيان قوله ﷺ يوم الفتوح: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» وقد رواه إسحاق وغيره.

خلاها، ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد. فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر فإنه لقيوننا<sup>(١)</sup> وقبورنا وبيوتنا؛ فقال ﷺ: «إلا الإذخر» (١٧٥٣).

فإن قلت: أين نظير قوله: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾ في معنى الاستقبال؟

قلت: قوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ومثله واسع في كلام العباد، تقول لمن تعده الإكرام والحياء: أنت مكرم محبوب، وهو في كلام الله أوسع؛ لأن الأحوال المستقبلية عنده كالحاضرة المشاهدة. وكفاك دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال، وأن تفسيره بالحال محال: أن السورة بالاتفاق مكية، وأين الهجرة عن وقت نزولها، فما بال الفتح؟ فإن قلت: ما المراد بـ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾؟ قلت: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ولده، أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل، وبمن ولده وبه. فإن قلت: لم نكر؟ قلت: للإيهام المستقل بالمدح والتعجب. فإن قلت: هلا قيل ومن ولد؟ قلت: فيه ما في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَّيْتُ﴾ [آل عمران: ٣٦] أي: بأي شيء وضعت، يعني موضوعاً عجيب الشأن. وقيل: هما آدم وولده. وقيل: كل والد وولد.

والكبد: أصله من قولك: كبد الرجل كبدًا، فهو أكبد: إذا وجعت كبده وانتفخت، فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة؛ ومنه اشتقت المكابدة، كما قيل: كتبه بمعنى أهلكه. وأصله: كبده، إذا أصاب كبده؛ قال لبيد [من المنسرح]:

-----  
١٧٥٣ - أخرجه البخاري (٤٦، ٤٧): كتاب جزاء الصيد: باب لا يحل القتل بمكة، حديث (١٨٣٤)، ومسلم (٩٨٦/٢، ٩٨٧): كتاب الحج: باب تحريم مكة وصيدها وحلالها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد، على الدوام، حديث (١٣٥٣/٤٤٥).  
وأبو داود (٦/٢) كتاب الجهاد: باب في الهجرة هل انقطعت حديث (٢٤٨٠) والنسائي (١٤٦/٧) كتاب الجهاد: باب ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة والترمذي (١٢٦/٤) كتاب السير: باب ما جاء في الهجرة حديث (١٥٩٠) والدارمي (٢٣٩/٢) كتاب السير: باب لا هجرة بعد الفتح وبعد الرزاق (٣٠٩/٥) رقم (٩٧١٣) وابن الجارود (١٠٣٠) وابن حبان (٤٨٤٥ - الإحسان) والبيهقي (١٩٥/٥) والطبراني في «الكبير» رقم (١٠٩٤٤) والبخاري في شرح السنة (٥٢٠/٥ - بتحقيقنا) من طريق منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ - يوم الفتح فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والله فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة لا يعصد شوكة ولا ينفر صيده، لا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ويختلي خلاها» فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقيونهم وليوتهم فقال: «إلا الإذخر»، وهذا لفظ البخاري. قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة وله طرق وألفاظ. انتهى.

(١) قوله «فإنه لقيوننا» القيون جمع قين، وهو الحداد كذا في «الصحاح» انتهى

يَا عَيْنُ هَلْ أَبَكَيْتِ أَزِيدَ إِذْ قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَيْدٍ<sup>(١)</sup>  
 أي: في شدة الأمر وصعوبة الخطب.

والضمير في ﴿أَيْحَسَبُ﴾ لبعض صناديد قريش الذي كان رسول الله ﷺ يكابد منهم ما يكابد

والمعنى: أيعظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين: أن لن تقوم قيامة، ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه، ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم، وأنه يقول: ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا﴾ يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم، ويدعونها معالي ومفاخر ﴿أَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٧)</sup> حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخارًا بينهم، يعني: أن الله كان يراه وكان عليه رقيبًا. ويجوز أن يكون الضمير للإنسان، على أن يكون المعنى: أقسم بهذا البلد الشريف، ومن شرفه أنك حلّ به مما يقترفه أهله من المآثم متحرج بريء، فهو حقيق بأن أعظمه بقسمي به ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدٍ﴾<sup>(٨)</sup> أي: في مرض: وهو مرض القلب وفساد الباطن، يريد: الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات. وقيل: الذي يحسب أن لن يقدر عليه أحد: هو أبو الأشد، وكان قويًا يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فلا ينزع إلا قطعًا ويبقى موضع قدميه. وقيل: الوليد بن المغيرة «لبدا» قرئ بالضم والكسر: جمع لبة ولبدة، وهو ما تلبد يريد الكثرة: وقرئ: «لبدا» بضمين: جمع لبود. ولبدا: بالتشديد جمع لأبد.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾<sup>(٨)</sup> وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾  
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكَيْ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ بَلِيغًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾  
 أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾<sup>(٨)</sup> يبصر بهما المرئيات ﴿وَلِسَانًا﴾ يترجم به عن ضمائره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقي الخير والشر. وقيل: الشديين ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ يعني: فلم يشكر تلك الأيادي والنعم بالأعمال الصالحة: من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين، ثم

(١) للبيد يرثي أخاه أريد. وكيد كيدًا كتمب: وجعت كبده وانتفخت، فاتسع فيه حتى صار كتعب في المعنى أيضًا. يقول: يا عين هلا بكيت أخي وقت قيامنا للحرب وقيام الخصوم معنا فيه. والعاملان تنازعا قوله (في كيد) ونزل عينه منزلة من يعقل، فخاطبها، وهلا: حرف تحضيض.  
 ينظر: ديوانه ص ١٦٠، وتذكرة النحاة ص ١١٨، والخصائص ٣/٣١٨، ولسان العرب (كيد).

بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة، وأساس كل خير؛ بل غمط النعم<sup>(١)</sup> وكفر بالمنعم. والمعنى: أن الإنفاق على هذا الوجه هو الإنفاق المرضي النافع عند الله، لا أن يهلك مالاً لبداً في الرياء والفخار، فيكون مثله ﴿كَكَمَلٍ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَثَ قَوْمٍ...﴾ [آل عمران: ١١٧] الآية. فإن قلت: قلما تقع «لا» الداخلة على الماضي إلاً مكررة؛ ونحو قوله: [الرجز]

فَأَيُّ أَمْرِ سَأَيْءٍ لَأَقَعْلَهُ<sup>(٢)</sup>

لا يكاد يقع، فما لها لم تكرر في الكلام الأفصح؟ قلت: هي متكررة في المعنى؛ لأن معنى ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ فلا فك رقبة، ولا أطمع مسكيناً؛ ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك<sup>(٣)</sup>.

وقال الزجاج قوله: (ثم كان من الذين آمنوا) يدل على معنى: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، ولا آمن. والاقترام: الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة. والقحمة: الشدة، وجعل الصالحة: عقبة، وعملها: اقتحاماً لها؛ لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس. وعن الحسن: عقبة والله شديدة. مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان. وفك الرقبة: تخليصها من رق أو غيره. وفي الحديث: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: دلني على عمل يدخلني الجنة. فقال: «تعتق النسمة وتفك الرقبة. قال: أو ليسا سواء؟ قال: لا، إعتاقها أن تفرد بعقبتها. وفكها: أن تعين في تخليصها» (١٧٥٤). من قود أو غرم. والعتق

١٧٥٤ - أخرجه ابن حبان (١٢٠٩ - موارد) والطيالسي (٣٠/٢ - منحة) رقم (٢٠٠٩) وأحمد (٢٩٩/٤) والحاكم (٢١٧/٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٧٢/١٠ - ٢٧٣) من حديث البراء بن عازب وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٤٣/٤): رواه أحمد ورجاله ثقات. وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن حبان والحاكم وأحمد وإسحاق وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في الشعب، والثعلبي وابن مردويه والواحدي من رواية عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب وليس عند أحد منهم قوله «من قود أو غرم» وكأنه من

(١) قوله: «بل غمط النعم» أي: استحقرها. (ع)

(٢) لشهاب بن العيف في خزنة الأدب ٨٩/١٠، ٩٠، وتاج العروس (زناً)، ولابن العفيف العبدوي أو عبد المسيح بن عسلة في شرح شواهد المغني ٦٢٤/٢، وللغيف العبدوي في لسان العرب (زناً)، والتبتيه والإيضاح ١٩/١، ٢٨٦، ولجبر في لسان العرب (شدخ)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (زناً)، والإنصاف ص ٧٧، والجنى الداني ص ٢٩٧، ٢٩٨، وشرح المفصل ١/١٠٩، ١٠٨/٨، ومغني اللبيب ٢٤٣/١، وتهذيب اللغة ٢٦٠/١٣، والمختصص ٣/١٤، ٢٣، وتاج العروس (زناً).

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: ولا يتم له هذا إلا على قراءة «فك» فعلاً ماضياً. انتهى. الدر المصون.

والصدقة: من أفاضل الأعمال. وعن أبي حنيفة رضي الله عنه: أن العتق أفضل من الصدقة. وعند صاحبه: الصدقة أفضل والآية أول على قول أبي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة: أبيضه في ذي قرابة، أو يعتق رقبة؟ قال: الرقبة أفضل، لأن النبي ﷺ قال: «من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضواً منه من النار» (١٧٥٥). قرئ: فك رقبة، أو إطعام، على: هي فك رقبة، أو إطعام. وقرئ: فك رقبة، أو أطعم، على الإبدال من اقتحم العقبة. وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ﴾ (١٦) اعتراض، ومعناه: أنك لم تدري كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله. والمسغبة، والمقربة، والمترية: مفعلات من سغب: إذا جاع. وقرب في النسب، يقال: فلان ذو قرابتي. وذو مقربتي. وترب: إذا افتقر، ومعناه. التصق بالتراب. وأما أترب فاستغنى، أي: صار ذا مال كالتراب في الكثرة، كما قيل: أثري. وعن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَمَا مَتَّيَبٌ﴾ الذي مأواه المزابل (١٧٥٦)، ووصف اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم: هم ناصب: ذو نصب. وقرأ الحسن: ذا مسغبة، نصبه بإطعام. ومعناه: أو إطعام في يوم من الأيام ذا مسغبة.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ (١٧) ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِّنَةِ﴾ (١٨) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ (١٩)

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ جاء بضم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة، لا في الوقت؛ لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره، ولا يثبت عمل صالح إلا به. والمرحمة: الرحمة، أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والثبات عليه. أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلئ بها المؤمن، وبأن يكونوا

= كلام الزمخشري انتهى.

١٧٥٥ - قال الزيلعي (٢١٤/٤) غريب وروى الحاكم في المستدرک (٢١٢/٢) من حديث عطية بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ «من أعتق رقبة فك الله بكل عضو من أعضائه عضواً من النار» وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال الحافظ: أخرجه الحاكم من حديث عقبة بن عامر بلفظ «من أعتق رقبة». انتهى.

١٧٥٦ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢١٤/٤): «غريب أيضاً» ا. هـ.

ورواه الحاكم (٥٢٤/٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل «أو مسكيناً ذا متربة» قال الثرب الذي لا يقيه من التراب شيء» وسكت عنه هو والذهبي.

وعزه الحافظ والزيلعي لابن مردويه من حديث مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: «الذي مأواه المزابل» ا. هـ.

قال الحافظ: أخرجه ابن مردويه من رواية مجاهد عن عبد الله بن عمر بهذا. وعند الحاكم عن ابن عباس: قال «هو الذي لا يقيه من التراب شيء» موقوف. انتهى.

متراحمين متعاطفين. أو بما يؤدي إلى رحمة الله. الميمنة والمشأمة: اليمين والشمال. أو اليمن والشؤم، أي: الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن. قرئ: موصدة، بالواو والهمزة، من وصدت الباب وأصدته: إذا أطبقته وأغلقته. وعن أبي بكر بن عياش: لنا إمام يهزم موصدة؛ فأشتهي أن أسدّ أذني إذا سمعته.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة» (١٧٥٧).

-----  
١٧٥٧ - تقدم برقم (٣٤٦): قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بالسند إلى أبي بن كعب. انتهى.